

رسالتان من أحمد توفيق المدني

أ. د أبو القاسم سعد الله

لا يمكنني تلخيص حياة أحمد توفيق المدني من أجل تقديم رسالتين كنت تلقيتهما منه خلال الخمسينيات من القرن الماضي. فحياة الرجل أوسع من خلاصة وأكثر تعقيدا من عرض سريع أو لمحة خاطفة. ومع ذلك سأحاول أن أكتب عنه ما قد يفني بالغرض.

عاش الشيخ أحمد توفيق المدني طفولته وشبابه المبكر في تونس (1899 - 1925) حيث هاجر والده أو نفي من الجزائر أثناء مقاومة الاحتلال الفرنسي. وفي تونس تلقى أحمد توفيق المدني تعليما مزدوجا من الزيتونة والخلدونية، وتأثر بحركة (الشباب التونسي) الوطنية، وبدأ نشاطه في الحزب الدستوري القديم بقيادة عبد العزيز الثعالبي، وانتصر بكتابته المبكرة لثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب مما جعل السلطات الفرنسية تتفنيه إلى الجزائر سنة 1925.

وفي عاصمة الجزائر تفاعل المدني مع النخبة الإصلاحية وأعيان المدينة حتى أصبح من قادة الرأي والفعل فيها. أما من ناحية تدبير معاشه فيبدو أنه كان يمارس التجارة. ومن نتيجة ذلك الجهد المشترك إنشاء نادي الترقى الذي أصبح رمز النشاط الثقافي والسياسي في العاصمة عن طريق المحاضرات والاجتماعات، كما أصبح النادي مقصد الزوار خصوصا من المشرق ومركز نشاط الشيخ الطيب العقبي باسم الحركة الإصلاحية ثم جمعية العلماء. كما

كان مركز اجتماع جمعية طلبة شمال إفريقيا والتحضير للمؤتمر الإسلامي.

ولم تسجل أدبيات تلك المرحلة حضورا بارزا للشيخ المدني في المؤتمر الإسلامي، ولا في ميلاد جمعية العلماء، ولا في إنشاء أحباب البيان، ولا في أحداث الثامن مايو. أما حضوره البارز في تلك الحقبة فكان في ميدان التأليف والنشر. فقد أصدر عدة كتب منها: تقويم المنصور، وكتاب الجزائر، والمسلمون في صقلية، وقرطاجنة، ثم كتابته السياسية في مجلة الشهاب لابن باديس وجريدة الإصلاح للعقبي. فقد غطى فيهما الأحداث العالمية والإقليمية مثل أحداث الشمال الإفريقي والبلاد العربية. لذلك يمكن القول إن الشيخ المدني فرض نفسه بثقافته السياسية الإعلامية على الساحة العربية في الجزائر لغياب من يتولى ذلك بالحرف العربي من الجزائريين.

هذه الموهبة هي التي قدرها وفسح لها المجال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عند بعث جريدة البصائر سنة 1947. فقد تكفل الشيخ المدني فيها بتغطية السياسة العالمية ومنها قضايا شمال إفريقيا. ثم أضاف إليها بابا جديدا عن العلوم والاختراعات معظم مادته كانت مترجمة، لمواكبة مستجدات العلم. وبعد سفر الشيخ الإبراهيمي إلى مصر وانطلاق الثورة فتح المدني في البصائر بابا آخر بعنوان

(يوميات الأزمة الجزائرية) معظم مادته كانت مترجمة أيضا عن وكالات الأنباء، وأخيرا أصبح هو رئيس تحرير البصائر والكتاب لافتتاحياتها لغياب رئيس تحريرها الأصلي (الإبراهيمي).

عندما حلت بالعاصمة أول مرة (17 نوفمبر 1954) كان الشيخ المدني هو رئيس تحرير البصائر التي كان مقرها في باب الوادي حيث تجتمع هيئة التحرير (المكونة منه ومن: أحمد سحنون، وباعزيز بن عمر، وحمزة بوكوشة). فكنت أول الأمر أرسل قصائدي⁽¹⁾ إلى الجريدة بطريق البريد، وهي قصائد من النمط الحديث أو الحر، حتى أنني كنت أخشى ألا تجد ترحيبا من جريدة محافظة كالـبصائر، ومع ذلك نشروا لي منها بعضا دون أن يسألوني شيئا. ولكنني عندما أرسلت إليهم قصيدة (طريقي) سألوني أن أرسل لهم صورتي ففعلت فإذا بالقصيدة تصدر كاملة مع الصورة في مكان بارز⁽²⁾. ثم تلتها قصيدة (أغنية المزارع والحقول)⁽³⁾

-
- 1 - منها قصيدة احتراق، البصائر عدد 306، وقد نظمها بالأبيار في 5 يناير 1955، وقصيدة خميلة وربيع، البصائر عدد 308 وقد نظمها في الأبيار 1955.
 - 2 - نشرتها البصائر عدد 311 نظمها بالأبيار 15 مارس 1955.
 - 3 - نظمها بالأبيار 28 مارس 1955 وقد نشرتها في البصائر عدد 317.

وهكذا. ولكن قصائد أخرى أرسلتها لم تر النور، منها (غضبة الكاهنة)⁽¹⁾ و(مؤتمر باندونج)⁽²⁾.

وعندما طال العهد على عدم نشرها تقلقت وأرسلت إلى رئيس التحرير(الشيخ المدني) رسالة لا أدري محتواها (لأنني لا أحتفظ بنسخة منها) ولكن يبدو من رد الشيخ عليها أنها كانت رسالة احتجاجية. وعلى كل حال فهي رسالة حفزت الشيخ على كتابة رسالته الأولى التي طمأنني فيها بعبارات لطيفة تخفف من غضبي وتبقي في الأمل، دون قطع الصلة بيني وبين الجريدة.⁽³⁾

لم أر الشيخ المدني يتردد على مركز جمعية العلماء كالآخرين، فأنا لا أذكر أنني رأيته فيه خلال السنة التي قضيتها في العاصمة (1954- 1955) وإنما رأيته في مقر هيئة التحرير الذي ذكرته حيث زرتهم مجاملة وفضولا وقدمت لهم قصيدة (المجهول) التي قرأها الشيخ أحمد سحنون في الحين وأصلح لي فيها بيتا ليستقيم وزنه. ثم زرت الشيخ المدني في مكتبه الذي كان يقع في أحد فروع شارع لالير (بوزرينة حاليا). وهو مكتب متوسط الحجم ولكنه أنيق مشبع

1 - الأبيار 10 فبراير 1955 (لم تنشر).

2 - مفقودة، لم أحتفظ بنسخة منها ولم تنشرها البصائر، وقد انعقد المؤتمر في 28 أبريل 1955.

3 - انظر نص الرسالة الأولى.

بالتحف والكتب والصور والخرائط. وقد استقبلني فيه مرتين: هذه المرة التي أتحدث عنها، أما الأخرى فكانت عند سفري إلى المشرق بطلب منه. كان يلقاني مبتسما متواضعا ولكنه كان واثقا من نفسه كل الوثوق. وهو يستقبل زائره عند الباب ويودعه إلى الباب، ولم يكن يلبس الجبة ولا العمامة بل يتحرك بهندام أوروبي مع طربوش يزيد بعض الطول لأنه كان قصير القامة نسبيا وأقرب إلى الامتلاء منه إلى النحافة.

وهناك مناسبة أخرى جعلت اسمي يرتبط باسمه وهي احتفالية مرور ثلاثين عاما على نفيه من تونس. فقد نظم له أصدقاؤه في الجمعية احتفالا ألقى فيه كلمات وقصائد في أحد النوادي أو المطاعم الفاخرة بالعاصمة. وكان ذلك في شهر جوان (يونيو 1955). وكان خالي الشيخ الحفناوي هالي على صلة بلجنة الحفل فطلب مني ذات يوم أن اشترك في المناسبة بقصيد، فاعتذرت بانشغالي باستخراج جواز السفر الذي عجزت عن الحصول عليه بالعاصمة، ومن ثمة عدم حضوري للحفل. فألح على مشاركتي ووعد بأن يجد من يلقي قصيدتي. فكتبت (قصة عملاق)⁽¹⁾ وسلمتها إليه (إلى خالي)، دون الاحتفاظ بنسخة منها، وسافرت. وقد قرأت بعد

¹ - نشرها الشيخ المدني في الجزء الثالث من كتابه حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982،

ذلك في البصائر وصفا للحفل بقلم الشيخ أحمد سحنون وفيه أن الذي ألقى قصيدتي هو الشاب عبد السلام مرجان الذي كان على صلة بمدرسة التهذيب بالأبيار حيث علمت. قصيدة (قصة عملاق) هذه نسيته تماما ولم أكتب عنوانها فيما جمعته من أشعاري وأنا بالمشرق. وبعد سنوات من استقلال الجزائر وصدور الجزء الثالث من مذكرات الشيخ (حياة كفاح) الذي نشرت فيه القصيدة التقيت الشيخ المدني بالعاصمة، فسلم إلي أصلها بخط يدي، فكانت مبعث دهشتي وسروري معا.⁽¹⁾

عشية سفري من الجزائر إلى مصر زرت الشيخ المدني في مكتبه كما تواعدنا فأودعني رسالة إلى الشيخ الإبراهيمي. وبعد استقرارني بالقاهرة كتبت إليه عدة رسائل أشار هو إلى بعضها في رسالته الثانية. وقد كان بريدي إليه يشمل عادة مراسلة عامة ورسالة خاصة، فما كان منه إلا أن اختار لمراسلتي العامة عنوانا هو (رسالة القاهرة)، وقد نشر إحداها على الأقل على الصفحة الأولى كافتتاحية للبصائر. ولما تكررت مراسلاتي إليهم قرروا مساعدتي بتخصيص خمسة آلاف فرنك شهريا ولكن قبل تنفيذ القرار خرج

1 - منشورة أيضا في الزمن الأخضر - ديوان سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

الشيخ المدني نفسه من الجزائر والتحق بالقاهرة وتوقفت البصائر عن الصدور. ولم يبق من القصة سوى الرسالة التي أرسلها إلي من الجزائر وهي الثانية مما نشره اليوم.

بعد وصول الشيخ المدني إلى القاهرة في إطار العمل في جبهة التحرير الوطني أصبحنا نلتقي بشكل يكاد يكون أسبوعيا وأحيانا يوميا. وقد تناولنا هذه المرحلة في كتابنا (مسار قلم، يوميات القاهرة 1956- 1960)⁽¹⁾. كان مقر نشاط الشيخ المدني هو مركز جمعية العلماء الذي حل فيه مكان الشيخ الإبراهيمي، ومن هناك كان يستقبل الزوار والإعلاميين... وكتب كتابه (هذه هي الجزائر) للتعريف بتاريخ الجزائر والثورة، وتولى تمثيل جبهة التحرير في الخارج لفترة قصيرة بعد اعتقال عدد من قادة الثورة في أكتوبر 1956، قبل التحاق الدكتور الأمين دباغين بالقاهرة وتوليّه هذه المهمة، وكان المدني هو المشرف على كلمة الجزائر التي تذاق من صوت العرب، والسفير المتجول للثورة في أقطار المشرق، وأول وزير للثقافة في الحكومة المؤقتة، ثم ممثل الجزائر في مجلس الجامعة العربية.

والشيخ المدني هو الذي كتب لي مقدمة مجموعة شعرية بعنوان (النصر للجزائر)⁽²⁾ وطلب مني باسم الوفد

1 - دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، جزآن في مجلد.

2 - دار الفكر، القاهرة، 1957

الخارجي كتابة نشيد للثورة فقدمت له ثلاثة نماذج ليختاروا منها الصيغة المناسبة⁽¹⁾. وكنت الثالث معه ومع الشيخ الإبراهيمي عندما قصدنا دار مصطفى البابي الحلبي ومكتبة صبيح ناحية الأزهر للتفاوض بشأن طبع كتابي (محمد العيد آل خليفة)⁽²⁾. وقد كان ذلك عشية سفري في منحة سنة 1960، ولكن الصفقة لم تتم وأنا بالقاهرة، ثم أرسلت بعد مغادرتي على دار المعارف بفضل مساعي الشيخ الإبراهيمي.

لم أتابع أخبار الشيخ المدني بعد ذلك ولم أره إلا في الجزائر بعد الاستقلال. فقد جئت إلى العاصمة لحضور المؤتمر الخامس لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين ممثلاً، مع آخرين، لفرع أمريكا في أوت سنة 1962 وهو الشهر الذي عكرت أحداثه المؤلمة صفو الفرحة بالنصر وكادت تعصف بمكاسب الثورة. لم أر المدني عندئذ ولم أعرف موقفه مما جرى في أوت وإن كنت أتوقع الآن أنه ظل في القاهرة حيث يمثل الجزائر في الجامعة العربية وأن هواه كان مع فريق

1 - عن هذا الموضوع أنظر مسار قلم - يوميات، مرجع سابق.

2 - أعدده ليكون رسالة ماجستير في الأدب من كلية دار العلوم (جامعة القاهرة، ولكن قبل المناقشة حصلت على منحة للدراسة في الخارج، فغادرت القاهرة وتركت المخطوطة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقد نشر الكتاب بالقاهرة سنة 1961.

تلمسان. أما أثناء زيارتي الثانية للجزائر في صيف سنة 1963 فقد وجدت المدني وزيرا للأوقاف في أول حكومة للجزائر المستقلة، ولا أذكر أنني رأيته أو طلبت مقابلته، رغم أنني دخلت الوزارة للقاء خالي الذي كان مديرا لإحدى المصالح بها، وكان من موظفيها أيضا بعض زملائي الذين كانوا يدرسون في المشرق العربي. وأثناء التوزر حدثت بين الشيخ المدني وبعض أعضاء جمعية العلماء مجافاة لوقوفه مع رئيسه الذي أساء إلى بعض العلماء ولا سيما رئيسهم الشيخ الإبراهيمي.

ثم عين الشيخ المدني سفيرا للجزائر في عدة بلدان منها تركيا والعراق وإيران، كما انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية المصري خلفا للشيخ الإبراهيمي. ومنذ تقاعد في السبعينيات بعث النشاط في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي كان تابعا للرئاسة، ولعب دورا بارزا في تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين. وقد زرتة عدة مرات في منزله بالأبيار رفقة صديقي الدكتور أبو العيد دودو.

بعد صدور الجزء الثاني من (حياة كفاح) تعرض الشيخ المدني لهجوم ظالم، وكنت إذ ذاك بالخارج أو اصل تفرغي وبحوثي فأرسل إلي نسخة من الكتاب مسجلا بالبريد الجوي

وبإهداء طويل الذيل⁽¹⁾، متوقعا مني ربما أن أهب لنجدته، فلم أفعل شيئا لبعدي عن ميدان الهجوم وعدم فهمي لتفاصيل ما حدث وانشغالي ببحوثي. وقد عرفت فيما بعد أنه كان لبعض زملائه في جمعية العلماء ثارات منذ قبل بوزارة الأوقاف في الحكومة بينما كانت الجمعية متحفظة من النظام الاشتراكي العلماني. ويبدو أنهم اعتبروا قبول الشيخ المدني بالمنصب -ربما بدون تنسيق معهم - نوعا من الانتهازية وتتكررا لمبادئ الجمعية، وربما كان وراء ذلك حسد من عند أنفسهم أيضا.

من كتب الشيخ المدني (حرب ثلاثمائة سنة) الذي قمت بمراجعته في مجلة المجاهد الثقاف⁽²⁾ حسب المعايير العلمية، ولم أدخل في حكمي على الكتاب الجانب الشخصي، فكان استقبال المدني للمراجعة فاترا، كما أحسست. ولكنني عندما استأذنته في نشر محضر اجتماع

1 - نص الإهداء على الغلاف هكذا: "إلى ابني وصديقي وأخي، الأديب الكبير، والمؤرخ الخطير، والباحث الشهير، سيدي الأستاذ بلقاسم سعد الله الذي شرف الأدب ببحوثه ومؤلفاته، وأتحف المكتبة الجزائرية بتأليفه القيمة، والذي اشتهر بالنزاهة والصدق والإخلاص. هدية أخوة طاهرة وود مقيم، وصداقة عميقة الجذور. مع أركى عواطف الحب والإخلاص. الجزائر في 23 / 5 / 1978 (التوقيع: أحمد توفيق المدني)

2 - كانت تصدرها جريدة المجاهد دوريا بتشيط خاص من الأستاذ محمد الميلي

جمعية العلماء الذي كتبه بخطه في سبتمبر 1954 وأرسله إلى الشيخ الإبراهيمي بالقاهرة، لم يتردد في الإذن لي كتابة بنشره⁽¹⁾. ومن أواخر اللقاءات معه عندما علمت أن شركة النشر الجزائرية الرسمية أعادت له مخطوطة كتاب له بعنوان (رد أديب على حملة الأكاذيب)⁽²⁾، وهو المخطوط الذي حاول أن يرد فيه على كتاب (التحريف والتزييف)⁽³⁾ الذي كان يعتقد أنه كتب بإيعاز من بعض خصومه في جمعية العلماء. فقد كان الشيخ المدني متأثرا جدا من موقف الشركة، وكان يشعر بأنه طعن من زملائه وأن من حقه الرد والتوضيح.

وقد سألته ذات مرة: لماذا أنت يا شيخ مهموم من كلام تعرف يقينا أنه كاذب؟ فقال بعد تفكير: يا بني لو وقع ما وقع بعد أن غادرت هذه الحياة لما أزعجني ذلك في شيء، أما وقد وقع وأنا أعيش فإني لا أحتمل أن يقال عني إنه عاصر ما نشر ضده ولم يرد. فوجدت في كلامه حكمة بالغة صادرة عن تجربة تاريخية عريقة. وقد بقي كتابه (رد

1 - عقدت الجلسة أيام 25 - 29 سبتمبر 1954 بالعاصمة، وقد وصل البريد إلى مطار القاهرة في 9 أكتوبر 1954.

2 - قيل إنه كتاب موثق كتبه الشيخ المدني توضيحا لمساهمته في الحياة الثقافية والسياسية الجزائرية ودفاعا عن نفسه.

3 - من تأليف الكاتب والممثل المسرحي محمد الطاهر فضلاء، دار البعث، قسنطينة، 1982.

أديب) مقبورا إلى أن سمعنا أخيرا أن إحدى دور النشر قد حصلت عليه لتشره كما أراد صاحبها.

إن الرسالة الثانية تتناول عدة نقاط: طلب المزيد من المعلومات عن أحوال الشرق وخاصة الثقافية، وصول بعض رسائله إليه وإلى "الإخوان"، وتفاصيل عن نشاط مكتب الجمعية في القاهرة وخاصة العلاقة بين الطلبة والشيخ الإبراهيمي، وسفر الشيخ إلى الرياض وحلول الشيخ عمر درود محلّه، وإعلامي بأن هيئة تحرير البصائر قد خصصت لي مكافأة على مقالاتي.

أسلوب الشيخ المدني في الرسالتين أسلوب مباشر طليق لكاتب متمرس على الكتابة الصحفية والسياسية، مع مسحة أدبية تجعل القارئ لا يشعر بالملل معه، كما أن الرسالتين خاليتان من العبارات الفقهية والمحفوظة. ولعل هناك فرقا بين الرسالتين يظهر في أن الأولى اعتذارية والثانية إخوانية / إخبارية. وتكشف الرسالة الثانية عن أجواء الحيرة التي كانت تعيشها جمعية العلماء في السنة الثانية من عمر الثورة. وقد كانت الجمعية لا تتوفر على جميع المعطيات لاتخاذ موقف سياسي مصيري. ولعل مقارنة رسالة المدني الثانية برسالة الشيخ العربي التبسي الثانية أيضا ستكون مفيدة في هذا المجال.

وأرجو أن أكون بهذه المقدمة وبنشر هاتين الرسالتين
قد عبرت عن بعض وفائي للشيخ أحمد توفيق المدني وقدمت
خدمة للتاريخ بالكشف عن بعض الوثائق الوطنية
والشخصية.

سيدي الأستاذ الفاضل الكريم الشيخ أبو القاسم سعد الله،
تحية وسلام. أما بعد:

لقد اتصلت اليوم برسالتكم الكريمة⁽¹⁾ حفظكم الله، وأشكركم باسم -الأدب والعلم - على تقديركم وحسن ظنكم. ثم أعلمكم أن بناتكم الكريمات⁽²⁾ لم تصبن بوأد، بل هن في حرز حريز. وتحت يدي سلسلة موضوعاتكم الجريئة⁽³⁾، سوف أفسح لها بحول الله مجالا طيبا. وإن ثمرات أقلامكم تعتبر لدينا من أثرى ما تجود به القريحة الجزائرية في عهد هذا الحديث، فزدنا منها بارك الله فيك. ولا تبتئس إذا ما تأخر نشر شيء، فأنتم ترون أن الحالة الحاضرة⁽⁴⁾ قد أوجبت علينا أن نخصص لها قسما مهما من الجريدة⁽⁵⁾، ولعلنا وفقنا في ذلك، وإن أسأنا - من غير

1 - لا أذكر محتواها ولا أملك منها نسخة.

2 - يقصد غالبا قصائدي ومقالاتي التي كنت أرسلها إلى هيئة تحرير البصائر.

3 - لعل جرأتها هي التي حالت دون نشرها، والجرأة كانت على الاستعمار وعلى بعض الجامدين في الأدب والفكر من أهلنا.

4 - يقصد الحالة المستجدة التي فرضتها الثورة.

5 - وهي تغطية البصائر لأخبار الثورة تحت عنوان (يوميات الأزمة الجزائرية)، وهي يوميات تلخص فيها الجريدة الأسبوعية ما حدث خلال الأسبوع من مصادمات

عمد - إلى الكتاب المبرزين والمكرمين، فأرجوكم المَعذرة والاستمرار والثبات، والتغلب على العقبات، ولو كانت منا. والسلام من مقدر أدبكم (التوقيع)⁽¹⁾

مع العدو، واغتيالات واعتقالات (لا سيما لأعضاء الجمعية) وحرائق للمزارع والقرى، ومن أنشطة في الجانب السياسي أيضا.
1 - هو أحمد توفيق المدني (أنظر صورة الرسالة).

أخي المبجل الكريم وصديقي الفاضل الحميم، الكاتب
الشاعر الأديب سيدي الأستاذ بلقاسم سعد الله، حفظه الله
ورعا. السلام عليكم والتحية الطيبة المباركة، أما بعد:

لقد اتصلت منكم بأربعة برد⁽¹⁾، في كل بريد رسالة
خاصة ورسالة عامة. أما الرسائل العامة فنحن نبادر بنشرنا
تباعا. ونشكركم عليها الشكر الجزيل. ونرجو أن توالوا
مراسلة البصائر بالأنباء العلمية والأدبية والثقافية، وتطورات
المجتمع المصري، فذلك ما يهم كثيرا قراء البصائر في هذا
المغرب العربي. ولا تتعرضوا فيها لذكر أمورنا الجزائرية بنقد
أو تعريض، فإن أردتم هذا فاكتبوا عنه موضوعا مستقلا في
غير رسالة القاهرة⁽²⁾.

هذا، ونظرا لحالتكم المادية التي شرحتموها لنا فقد
قررت لجنة البصائر إعانتكم بمبلغ خمسة آلاف فرنك
شهريا. وأنا الآن أدرس طريقة إرسالها لكم بصفة منظمة.
أما رسائلكم الخاصة الممتعة فإنها والله قد كانت
على قلبي بردا وسلاما. وقد أفادتنا بما كنا في حاجة إليه من
معلومات عن حالتنا العامة، زيادة عما كان فيها من شعور

1 - التوقيع هو: أحمد توفيق المدني، انظر صورة الرسالة.

2 - جمع بريد أي رسائل، وقد أشرت إلى بعضها في يومياتي (انظر مسار قلم).

صادق وإحساسا نبيل، بما زادني يقينا وإيماننا بأن ثقتي كانت في محلها، وأن الآمال التي كنت أعلقها عليك للنهضة بالأدب والفن والثقافة في القطر الجزائري سائرة في طريق التحقيق.

وإذا سألتك أن لا تلومني عن التقصير في المبادرة بالجواب فإنني أعتقد أنك ستلبي سؤالي بكل سهولة، لأنك تعرف أكثر من غيرك مدى ما أضطلع به في الظروف الحاضرة سواء بالبصائر أو بالجمعية⁽¹⁾. وبهذه المناسبة أرجو معرفة رأي سائر إخواننا في موقف البصائر ومقالاتها الافتتاحية. وقد آلمني إحجام الصحف المصرية عن نشر بلاغ الجمعية، بعد أن أرسلته لها بنفسني في وقته، وبعد أن أعاد المكتب⁽²⁾ الكرة مرة أخرى، فهل هذا من تأثير السفارة الفرنسية أو من تأثير جهات أخرى؟

أرجو منك رسالة خاصة صريحة مطولة: عن حالتنا في القاهرة، وحالة المكتب والطلبة لأن الرسالة التي جاءتني اليوم تخالف الرسالة التي بعثت بها بالأمس إلى الأستاذ الشيخ

¹ - لأن تناول وضع الجزائر يختص به كتاب البصائر أنفسهم للظروف الخاصة التي كانت تعيشها البلاد.

² - كان الشيخ المدني، كما أشرنا - هو رئيس تحرير البصائر والكاتب العام لجمعية العلماء.

العربي⁽¹⁾. فرسالتك له تفاؤل واستبشار. ورسالتك لي تشاؤم. وأنا أعتقد صدق رسالتك لي. وعلى كل فأنا أريد البيان الكامل. وهل سفر الشيخ⁽²⁾ نهائي أم مؤقت، وما هي حالة الشيخ العباس⁽³⁾ وما هي حقيقة آرائه في الرجوع. وكيف هو حال المكتب مع الشيخ عمر⁽⁴⁾. وهل أحدث هذا الانقلاب - إن صح التعبير - أثرا صالحا في أوساط الطلبة. ثم ما هي علاقة الجماعة⁽⁵⁾ بالمكتب وهل تحسنت أم هي في طريق التحسن أم سيئة؟

- 1 - لا أدري إن كان يقصد بعبارة (مكتب) مقر الجمعية في الجزائر أو مكتبها في القاهرة.
- 2 - هو الشيخ العربي التبسي النائب الأول لرئيس جمعية العلماء. أنظر رسالته إلي التي وصلتني في نفس الفترة تقريبا.
- 3 - هو الشيخ البشير الإبراهيمي الذي يبدو أنني أخبرت الشيخ المدني عن سفره من القاهرة إلى الرياض.
- 4 - الشيخ العباس بن الشيخ الحسين مبعوث جمعية العلماء إلى الشيخ الإبراهيمي في القاهرة ليطلعه على حالة الجزائر ويستطلع رأيه فيما يجب أن تقوم به الجمعية في عين المكان أمام الحالة الاستثنائية. وقد التحق الشيخ العباس بعد ذلك بجهة التحرير في الخارج وعين ممثلا لها في المملكة العربية السعودية.
- 5 - هو الشيخ عمر دردور، أحد تلاميذ عبد الحميد بن باديس ومبعوث الجمعية (9) إلى الشيخ الإبراهيمي أيضا، وقد حل محله في مكتب الجمعية بالقاهرة أثناء سفره (أي الإبراهيمي) إلى الرياض. ويبدو من رسالتي الشيخ التبسي والشيخ المدني إلي أن هذا كان يعرف عن مهمة الشيخ دردور بينما كان الشيخ التبسي يجهلها.

هذا أخي -أو ولدي⁽¹⁾ هذه الكلمة مكتوبة كأنها واحدي⁽²⁾
ما أود معرفته في أقرب وقت ممكن.

ثم أين مستقرك الآن؟ ولماذا تغير عنوانك؟ وكيف هي
حالتك المادية؟ وهل أنت في حاجة إلى حاجة نقضها لك
هاهنا؟ أريد أن تعتقد -ولا أقول لك هذا إلا مرة واحدة لا
أكررها - أن لك في شخصي: الأب، والشقيق، والصديق،
والرفيق، فاختر لنفسك أثناء كل مراسلة الشخصية التي
تريد أن تخاطبني بها، تجدني بحول الله عند ظنك.
وسلامي إليك، وقبله أخوية حارة. (التوقيع)⁽³⁾

-
- 1 - ربما يقصد بالجماعة هنا طلبة البعثة الذين "تمردوا" واستقلوا أو انضموا
إلى مكتب المغرب العربي حيث كان مقر جبهة التحرير في الخارج بإشراف
محمد خيضر.
 - 2 - في البداية كان عنواني هو مكتب الجمعية بالقاهرة (36 شارع شريف
باشا) ثم انتقلت إلى ضاحية المعادي فأصبح عنواني هو (شارع 10...)
 - 3 - انظر صورة الرسالة.

